

ثانياً : الشعر وأصول التجديد :

حقيقة تاريخية قد تبدو غريبة لأول وهلة ، ولكنها - عند التأمل - حقيقة ثابتة لا شك فيه ، تلك هي أن شعرنا العربى هو الشعر الوحيد فى تاريخ الآداب العالمية القديمة الذى كتبت له الحياة منذ أن ظهر حتى الآن ، فليس فى تاريخ هذه الآداب كلها شعر امتدت به الحياة مثلما امتدت بالشعر العربى . فقد امتدت الحياة بهذا الشعر أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان منذ أن بدأ رحلته فى القرن الخامس الميلادى حتى اليوم ، لم يحفت فيها صوته ، ولم ينقطع به الطريق على امتداده الطويل .

فقد ظهر الشعر اليونانى قبل الشعر العربى ، ولكن الطريق توقف به مع انهيار الحضارة الإغريقية ، وظهر الشعر اللاتينى ثم انتهى مع نهاية الحضارة الرومانية ، من قبلهما ظهر الشعر العبرى ، ثم توقف مع انتهاء شأن العبرية القديمة ، وكذلك كانت الحال من الشعر الفارسى ظهر ثم اختفى مع اختفاء الفارسية القديمة . أما الشعر العربى فقد ظهر مع ظهور اللغة العربية ، ومضى معها فى رحلتها الطويلة ، وظل حيا معها حتى اليوم ، وذلك لأن هذه اللغة عاشت عمرها الطويل المتصل محتفظة بسلامتها اللغوية لم يؤثر فيها تطاول الزمن ولا اختلاف البيئات ، لم تقض عليه اللهجات المحلية التى انبثقت منها كما قضت على غيرها من اللغات ، والسبب فى هذا - كما نعرفه جميعاً - يرجع إلى أن القرآن الكريم حفظ عليها سلامتها ، وأمسك بكيانها من أن يتداعى أو ينهار ، ولم يسمح للهجات المحلية بأن تحيلها إلى لغة تاريخية تأخذ مكانها فى المتاحف اللغوية كغيرها من اللغات القديمة .

ومعنى هذا أن شعرنا العربى الذى تمتد حذوره فى الأراض الطيبة هذا الامتداد الطويل يمثل فى تاريخنا تراثاً حضارياً عربياً يجب علينا أن نعتز به ، ورصيداً فنياً ضخماً يتحتم علينا أن نحافظ عليه ، هو تراث لا يزال صالحاً للحياة ، ورصيد لا يزال يعطينا فى سخاء ، لنتفق منه كيف نشاء ، فمن السعد والحماقة أن ندير له ظهورنا ونقول تحت تأثير عقدة الثقافة الأنانية ، لقد انقطع ما بيننا وبينه ولم يعد صالحاً لحمايتنا المعاصرة .